Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عصرنا هذا؛ فعصرنا هذا حدثت فيه تطورات وثورات في المنطق وفي العلوم؛ وبذلك يمكن إعادة صياغة أدلته ومراجعة موادها بل ورفض كثير منها. وأما الذين يقرون بتداخل المقايسة والبرهان فإنهم لا يسلمون في عصر المؤلف نفسه بالتمايز الحاد، لأن المقايسة هي المكون الأساسي للموضوع الذي يتحدث فيه. ولذلك فهو مضطر إليها، لأن البراهين المنطقية وحدها لا يمكن أن تسعفه في تبليغ كل ما يريد أن يقوله وخصوصاً أنه في مجال المباحثة والمناظرة. ولنأت بمثالين فقد استخدم في أولهما المقايسة الإيجابية، وفي ثانيهما المقايسة السلبية؛ قال في الأول: «الصحيح منع ثبوت ما لا نهاية له مطلقاً من غير فرق بين ما لا ترتيب له وضعي أو عقلي لأن البرهان على استحالة ما لا نهاية له ينسحب على جميع ذلك»[30]، وأورد في الثاني أن تناهي كل ما هو موجود في العالم لا يمكن قياس نعيم الجنة به لأن نعيم الجنة ليس متناهياً، ولأن ذاك ليس هذا.

يمكن أن ندعو هذه المقايسة بالجلية القصدية، ولكن هناك مقايسة خفية اضطرارية لأن مردها إلى تفاعل جسم الإنسان وفكره مع محيطه، وإلى كفايته التخييلية والفطرية. وهذه الآليات هي التي تخلق المفاهيم الإنسانية وتصوغ رؤى الفرد للعالم. لهذا، فإن الكائن البشري مضطر إلى الحديث عن التحيز وعن الجهات:

فوق	؛ يمين	؛ أمام	؛ داخل	؛ ذات؛	النفس
تحت	؛ يسار	؛ خلف	؛ خارج	؛ خارج الذات	؛ خارج النفس
ذات	؛ ذات	؛ محل	؛ قديم	؛ متقدم	؛ الحركة
غير ذات	؛ زائد على الذات	؛ لا محل	؛ حديث	؛ متأخر	؛ السكون
الاجماع	؛ الاتصال	؛ الوضع			
الافتراق	؛ الانفصال	؛ لا وضع			

على أن المكلاتي كان يشعر أحياناً بالمأزق الذي تؤدي إليه اللغة فكان يلجأ إلى مبدأ الثالث المرفوع ليخفف من التشبيه ويثبت التنزيه، وسنختار ثلاثة أمثلة للتدليل على صنيعه.

(30) ما تقدم، ص 86.